التعاون الاقتصادى الرأسمالى

للدكتور إبراهيم رشاد بك

مدير التعاون

لست أدرى أمن حسن حظ التعاون أم من سوء طالعه أن يسمى "تعاونا" فإن هذه الكلمة شائعة بين الناس ، وهى تعنى عندهم التضامن والتكاتف والتآزر والاتحاد وكل ما يتصل بهذا المعنى الجليل، ولكن التعاون — كما ابتدع فى أوربا وكما نمارسه فى مصر — نظام "اقتصادى" محدود المعنى ، مفصل القواعد . وها نحن أولاء نستعمل كلمة "التعاون" على وجهين : الوجه العام الذى يراد به التضامن ، ويتناوله الكتاب والأدباء من جميع نواحيه السياسية والأدبية والنسائية والصحية وغيرها ،والوجه الخاص الذى يقصد به الحركة التعاونية والاقتصادية والاجتماعية .

وهذه الحركة عالمية لم يخل منها قطر من أقطار العالم المتمدن ، وهى ترمى إلى إسعاد الطبقتين الدنيا والوسطى ، وتوفير الرخاء والهناءة لهم وفق أساليب معينة .

وهذه الأساليب بعيدة كل البعد عن أساليب العنف والهدم ، فهى تقوم على التطور لا على الطفرة ، وتتذرع بالسلم حتى حيال أشد المذاهب الاقتصادية مخالفة لروحها ومناوأة لغايتها ، وأعنى به المذهب الرأسمالى .

وهأنذا أضع تحت نظر القراء ثلاثة أنواع مختلفة للتعاون عساهم باستيعابها أن يقدروا موقف التعاونيين من غيرهم ، وأن يزنوا مكانة التعاون فى العالم، وأن يدركوا ملاءمته لحياتنا القومية ، وضرورته لنهضتنا الحديثة ، وتلك النواحى الثلاث هى :

أولا — الفرق بين المذهب التعاونى والمذهب الرأسمالى .

ثانيا — التعاون بأنواعه ومكانته فى مختلف البلدان وفى بلادنا .

ثالثا — الأسباب التى تجعلنا نعتقد أن التعاون هو أكفل النظم الاقتصادية والاجتماعية للنهوض بالشعب المصرى .

* * *

الفرق بين المذهب التعاونى والمذهب الرأسمالى

إن معنى الرأسمالية أن يقوم صاحب المال بمفرده أو بالاشتراك مع أمثاله بعمل يستثمر فيه الأموال بطريقة منظمة تضمن له أجزاء الربح .

أما التعاون فمعناه اشتراك جماعة من متوسطى الحال فى التعامل لا بقصد الربح على حساب الغير ، بل توحيدا لجهودهم وأموالهم ، وخدمة لأنفسهم جماعة وأفرادا .

وفى ظل النظام التعاونى يتقاضى حملة الأسهم فائدة معقولة لا أكثر ولا أقل ، ويتقاضى العاملون جزاءهم الحق من الأجر ، فليس هناك استغلال من طائفة لأخرى من شأنه أن يقسم الناس إلى أغنياء وفقراء .

ولما كان باب الجمعية التعاونية مفتوحا لمن كان مقيما بالناحية ، ومن حسن خلقه ، دون تفرقة فى الحقوق بين حامل السهم الواحد وحامل العدد من الأسهم ، فقد ضمن الناس الانتفاع بالتعاون مع توافر العدل وشمول المساواة للجميع .

هذا كله يقع تحت الوجهة المادية للتعاون ، وليس للرأسمالية من وجهة غيرها . ولكن للتعاون غاية اجتماعية لاتعد تلك الوجهة المادية سوى وسيلة لها . فان التعاونيين يعتقدون أن توافر المادة أمر ضرورى لتحسين الحالة الاجتماعية . ولذا يحرصون دائما على تخصيص جزء محترم من أرباحهم للقيام بمختلف الأعمال التى ترفع مستواهم الاجتماعى ، وكذلك مستوى البيئة التى يعيشون فيها . ناهيك بما تهيئه الجمعية لأعضائها من فرص لتحسين معلوماتهم التجارية والمالية ، وتدريبهم على الأساليب الحديثة للأخذ والعطاء ، وزيادة ثروتهم من الثقافة العامة . وناهيك بما يبثه التعاون فى نفوس الآخذين به من روح التضامن والحرص على مصلحة المجموع والاضطلاع بالمسئوليات ، والتعود على الشورى والنظام ، وتوطيد الروح الدستورية فى النفوس . وهذه الأخلاق لا تلبث أن تخرج عن نطاق الجمعية التعاونية إلى منطقة القرية ، ثم إلى البلدة ثم إلى الوطن بأجمعه ، ومن ثم نجد الفرد التعاونى " مواطنا فاضلا " ومثالا حسنا لغيره من المواطنين .

التعاون وأنواعه

ومكانته من مختلف البلاد الأجنبية وفى بلادنا

فى كل أمة متحضرة حركة تعاونيـة تتناول ريفها وحضرها ، فتقوم فيهـا الجمعيات التعاونية بأنواعهـا المختلفة من زراعية ومنزلية ومالية وصناعية ، وبعض هـذه الجمعيات محلية تخدم قرية أو بلدة، وأعضاؤها أفراد، وبعضها مركزية تخدم إقليما أو قطرا، وأعضاؤها جمعيات محلية ، وكل هـذه الجمعيات بمختلف أنواعها تخـدم فكرة واحدة هى تحسين حالة الشعب اقتصاديا، ورفع مستواه اجتماعيا ، ورائدها فى ذلك شعارها العالمى : "الفرد للمجموع والمجموع للفرد" ذلك الشعار الذى يرمى إلى توحيد مصلحة الفرد ومصلحة المجموع بحيث لا يكون هناك تنافر بينهما بل توافق واندماج ، فيتجه تفكير الفرد والأمة وجهـدهما إلى هذه المصلحة المزدوجة وتحقيقها، وهل هناك ضمان أقوى من ذلك لإصلاح حال الشعب؟

ولمـا كانت الاحاطة بمكانة التعاون والتعاونيين فى مختلف البلدان لا تتسع لمـا هذه الصفحة أو الصفحات ، فإنى سأكتفى بذكر بعض البيانات العامة عن مملكتين فقط ، إحداهما انجلترا زعيمة الحركة التعاونية المنزلية فى العالم ، والأخرى الدانيمارك رائدة الحركة التعاونية الزراعية :

انجلترا	عدد الجمعيات المنزلية	١٢٠٠	جمعية تقريبا
	عدد الأعضاء حوالى...	٨	ملايين عضو
	رأس المال المدفوع نحو	١٥٥	مليون جنيه
	قيمة المبيعات فى السنة الماضية نحو...	٢٦٠	مليون جنيه
الدانيمـارك	الجمعيات الزراعية أكثر من	٤٠٠٠	جمعية
	عدد الأعضاء نحو	١ ٣/٤	مليون عضو
	قيمة معاملات الجمعيات مع أعضائها	١٣٠	مليون جنيه انجليزى تقريبا

إذن ليس عجيبا أن نلقب الدانيمـارك التى لا يزيد عدد سـكانها على ٣ ٣/٤ مليون نسمة "بالدولة التعاونية" .

أما فى مصر فيوجد الآن نحو ٧٩٤ جمعية تعاونية عدد أعضائها ٨٥ ألف عضو تقريبا، ورأس مالها المدفوع نحو ٢٦٠ ألف جنيه ، أما مبلغ الاحتياطى فقـدره ٧٥ ألف جنيه ، وبلغت قيمة خدمات الجمعيات فى السنة الأخيرة حوالى ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه .

لماذا نعتقد أن التعاون أكثر النظم ملاءمة لنا

نحن الآن فى مصر على أبواب الدخول فى ميدان الرأسمالية فى نطاق واسع ، فيجدر بنا أن نتبصر فى الأمر وأن نعنى بالتعاون عناية خاصة لعلنا نستطيع أن نحول سكان السفينة من الرأسمالية الى التعاون من أول الأمر ، وبذا نتفادى جهد الطاقة تلك العلل الاجتماعية التى جاءت أوربا فى ركاب الرأسمالية ، فأدت الى اتساع الفروق بين الطبقات ، وما تبع ذلك من قلب للنظام العام ، كما فعلت روسيا من ثورات وحروب داخلية ومن تعديل أو ترقيع فى النظم لايجدى . ونحن فى غنى عن كل ذلك إذا تداركنا الأمر منذ البداية وأقمنا حياتنا الجديدة على أساس تعاونى سليم يكفل للجميع عدالة الانتفاع بثروة البلاد المادية والأدبية .

وهذا الوضع التعاونى مع سلامته هو أكثر النظم موافقة لميولنا القومية التى لاتقبل الطفرة بل تروم التطور الثابت والتقدم الوئيد . وهناك أيضا انسجام بين التعاون و بين آدابنا القومية المستمدة من الدين والحكم اذ تقول : " وتعاونوا على البر والتقوى " و " الدين المعاملة " و "الناس بخير ماتعاونوا " " وخادم القوم سيدهم" و " يد الله مع الجماعة " .

إننا اليوم نبدأ عهدا جديدا من تاريخنا ، فقد وكل الاستقلال أمورنا الينا ، ونحن أمة ذات ثروة طبيعية وذات قوة معنوية ، فينبغى لنا أن نتذرع بالأخلاق التعاونية الصحيحة ، فنعتمد على أنفسنا ونتكاتف جميعا على العمل الصالح ، ورائد كل منا التكوين المادى والأدبى لا لشخصه فقط ، بل لبيئته كلها ولمواطنيه جميعهم ، وبهذا وحده يعلو المستوى المادى والأدبى للشعب . لنا أول الداعين إلى التعاون فى مصر ، فقد دعا إليه قبلنا " عمر لطفى "و" السلطان حسين كامل "و" سعد زغلول باشا "و" فتح الله بركات باشا ". وما كان لهذه الشخصيات البارزة أن تدعو اليه وتجاهد فى سبيله إلا بعد إيمان بنفعه ، و إدراك أنه أضمن الوسائل للنهوض بالشعب ، و إن الحكومة العاملة على تنظيم بيتنا — كما يقول الانجليز على هذا الأساس — لهى الحكومة الموفقة حقا .

ولما كانت طريق الإصلاح السليم واضحة معبدة ، وهى طريق التعاون ، فلا داعى لسلوك طرق أخرى للاصلاح الإجتماعى ليست كالتعاون مضمونة الغاية ، ولا مأمونة المسلك . ولو توحدت جهودنا حكومة وشعبا فى طريق واحد نجعله " الطريق السلطانى" كما جرى الاصطلاح ، لكسبنا كثيرا ولحققنا مانصبو اليه من رقى وفلاح ما

ابراهيم رشاد